الباب الثاني

دراسة نظريات

أ. المفهوم النظري

1. مفهوم القرآن الكريم

القرآن لغة مصدر قراءة – نقول قرأت الكتاب قراءة وقرآنا[1]، واصطلاحا هو كلام الله، المنزل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم والمتعبد بتلاوته. "فالكلام" جنس فى التعريف، يشمل كل كلام، وإضافته إلى "الله" يخرج كلام غيره من الإنس والجن والملائكة. و"المنزل" يخرج كلام الله الذى استأثر به سبحانه (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا) (ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم). وتقييد المنزل بكونه (على النبي محمد صلى الله عليه وسلم) يخرج ما أنزل على الأنبياء قبله كالتوراة والإنجيل وغيرهما. و"المتعبد بتلاوته" يخرج قراءات الأحاديث القدسية –إن قلنا إنها منزلة من عند الله بألفاظها– لأن التعبد بتلاوته معناه الأمر بقراءته فى الصلاة وغيرها على وجه العبادة.[2]

---

[1] *التوحيد الثانى مقرر لطلبة الصف الخامس كلية المعلمين الإسلامية بمعهد دار السلام الحديث التربية الإسلامية*، دار السلام للطبعة و النشر: كونتور فونوروكو، ص 49

[2] مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، منشورات العصر الحديث. ص 21

2. مفهوم علم البلاغة

إن علم البلاغة من علوم اللغة العربية المهمة التي جائت سمة من سمات الإعجاز الذي نزل به القرآن الكريم.[3] وقال أحمد مصطفى المراغى فى كتابه "علوم البلاغة؛ البيان والمعانى والبديع" إن البلاغة لغة تنبئ عن الوصول والانتهاء.[4] ويقال بلغ فلان مراده ــ إذا وصل إليه، وبلغ الركب المدينة، إذا انتهى عليها ومبلغ الشيئ منتهاه. وبلغ الرجل بلاغة فهو بليغ: إذا أحسن التعبير عما في نفسه.[5]

وقال على الجارم ومصطفى أمين فى كتابهما البلاغة الواضحة؛ البيان والمعانى والبديع للمدارس الثانوية أن البلاغة هى تأدية المعنى الجليل واضحا بعبارة صحيحة فصيحة، لها فى النفس أثر خلاب، مع ملآءمة كل كلام للموطن الذى يقال فيه، والأشخاص الذين يخاطبون.[6]

والبلاغة علم له قواعده، وفن له أصوله وأدواته، كما لكل علم وفن.[7] وقد انقسمت البلاغة إلى ثلاثة أقسام وهي علم المعاني والبيان والبديع. فالأول ما يحترز به عن الخطاء فى تأدية المعنى الذى يريده المتكلم لايصال له إلى ذهن السامع. والثانى ما يحترز به عن التعقيد المعنوى أي أن يكون الكلام غير واضح الدلالة على المعنى المراد. وأما الثالث أي البديع ما يراد به تحسين الكلام.[8]

---

[3] محمد أمين الضناوي، *معين الطالب في علوم البلاغة: علم المعاني علم البديع علم البيان*، دار الكتب العلمية: بيروت، ص 5

[4] أحمد مصطفى المراغى، علوم البلاغة البيان والمعانى والبديع، دار الكتب العلمية بيروت، ص 13

[5] السيد أحمد الهاشمي، *جواهر البلاغة في المعاني و البيان و البديع*، دار الفكر، بيروت لبنان، ص. 28-29

[6] على الجازم و مصطفى أمين، *البلاغة الواضحة البيان و المعانى و البديع للمدارس الثانوية*، دار المعارف، مصر، 1951، ص 8

[7] جلال الدين محمد بن عدر الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد، *الإيضاح فى علوم البلاغة*، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 4

[8] المرجع السابق (السيد أحمد الهاشمي)، ص: 5

3. مفهوم علم البيان

مادة (البيان) في أصل استعمالها عند أصحاب اللغة تدل على الإنكشاف والوضوح. قالوا: بان الشيئ، يبين بيانا: اتضح، فهو بيّن. وأبان الشيئ فهو مبين. وأبنته أنا: أي وضحته. واستبان الشيء: ظهر. واستبنته أنا: عرفته. والتبيّن: الإيضاح: قال الله تعالى في سورة إبراهيم : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ).[9] والبيان: لغة الكشف، والإيضاح، والظهور. واصطلاحا: أصول وقواعد يعرف بها إيراد المعنى الواحد، بطرق يختلف بعضها عن بعض، في وضوح الدلالة العقلية على نفس ذلك المعنى.[10]

فعلم البيان هو العلم الذي نستطيع به إيراد المعنى الواحد في صور مختلفة، وتراكيب متباينة في درجة الوضوح.[11] وموضوع هذا العلم هو الألفاظ العربية، من حيث التشبيه والمجاز والكناية. وثمرته هو الوقوف على أسرار كلام العرب منثوره ومنظومه ومعرفة ما فيه من تفاوت في فنون الفصاحة، وتباين في درجات البلاغة التي يصل بها إلى مرتبة إعجاز القرآن الكريم الذي حار الجن والإنس في محاكته وعجزوا عن الإتيان بمثله.[12] وقد أشر سبحانه وتعالى عن هذا الأمر في قوله العظيم:

قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (الإسراء: 88)

---

[9] الدكتوربكري شيخ أمين، *البلاغة العربية في ثوبها الجديد*، دار الثقافة الإسلامية، بيروت، ص. 7

[10] المرجع السابق (السيد أحمد الهاشمي)، ص. 212

[11] محمد أمين الضناوي، *معين الطالب في علوم البلاغة*، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ص. 87

[12] المرجع السابق (السيد أحمد الهاشمي)، ص. 213

4. العلاقة بين علم البلاغة والبيان بالقرآن الكريم

ومن سنة الله تعالى في إرسال الرسل وإنزال الكتب أن يكون الرسول والكتاب بلسان القوم الذين أرسل فيهم وأنزل إليهم، كما قال الله تعالى: "وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبيّن لهم" (إبراهيم: 4). ولما اصطفى الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً إلى قومه العرب خاصة والناس كافة؛ أنزل إليه كتابه بلغة قومه العرب، كما قال الله تعالى: "إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون" (يوسف: 2)؛ ليفهموا عن الله مراده وخطابه، بياناً لهم وحجة عليهم، كما قال الله تعالى: "قرآناً عربياً غير ذي عوجٍ لعلهم يتقون" (الزمر: 28).

أما عن علاقة البلاغة بالقرآن، فهي وجه من وجوه إعجازه؛ فمن المعلوم أن القرآن الكريم معجز من حيث البلاغة التي هي عبارة عن مجموع المعاني الثلاثة وهي الفصاحة والجزالة والنظم، والعرب قد أحست أن القرآن خارج عن جنس كلامهم، ومن له أدنى معرفة بالعربية والنظم يعرف إعجازه، إلا أن البلغاء يعرفون إعجازه على قدر مراتبهم في البلاغة، ومن كان أفصح كانت معرفته بذلك أتمّ.

فإذا عرفنا أن التقديم والتأخير (مثلاً) مبحث من مباحث علم المعاني الذي هو أحد أقسام علم البلاغة، وإذا عرفنا ما له من أثر على المعنى، نعلم حينئذٍ مدى الالتصاق بين علم المعاني وعلم التفسير. فليس تقديم المفعول (إياك) في قوله تعالى: "إياك نعبد وإياك نستعين" إلا لمعنى أفاده هذا التقديم، وهو التخصيص؛ لذلك قال المفسرون إن تفسير الآية: نخصك وحدك بالعبادة والاستعانة، ولم يقولوا: نعبدك

ونستعينك. كما أن اختيارَ اللفظة القرآنية الذي هو من مظاهر البلاغة أمرٌ شديد الصلة بالمعنى الذي تفيده الآية، وإلا فلماذا ذكر الله عز وجل كلمة (السنة) تارة، وكلمة (العام) تارة أخرى في الآية نفسها؟ فقد قال تعالى: "ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمونً" (العنكبوت: 14)؟ لم يكن ذلك إلا لأن كل كلمة تعطي معنى مختلفاً عن الآخر.

وهذا يقال في جميع مباحث البلاغة من (التعريف والتنكير) و(الحذف والذكر)، وكذا يقال في علم البيان من تشبيهات واستعارات ومجازات. ولذلك، كانت هذه العلوم متشابكة، لا يمكن الفصل بينها بحدود عازلة، فبعضها يؤدي إلى بعض، ويكمل بعضها بعضاً، فليس لنا أن نكتشف إعجاز القرآن الكريم إنْ لم يكن لدينا علم بمعانيه، ولن نستطيع أن نعرف دقائق هذه المعاني إن لم يكن لدينا علم بالبلاغة.

5. مفهوم التشبيه

التشبيه لغة التمثيل واصطلاحا الدلالة على مشاركة أمر لأمر في المعنى بآلة مخصوصة كالكاف ملفوظة أو مقدرة.[13] وجاء في لسان العرب: "الشبه والشبّه والشبيه: المثل، والجمع أشباه. وأشبه الشيء الشيء: ما ثله، وأشبهت فلانا وشابهته واشتبه عليّ، وتشابه الشيئان واشتبها: أشبه كل واحد منهما صاحبه وشبهه إياه

[13] الشيخ مخلوف بن محمد البدوى المنيار، شرح *حلية اللب المصون*، مكتبة ومطبعة"كريا فوترا"، سماراغ، ص: 135

وشبهه به مثله. والتشبيه: التمثيل".[14] والتشبيه هو إلحاق أمر (المشبه) بأمر (المشبه به) في معنى مشترك (وجه الشبه) بأداة (الكاف وكأن وما في معناهما).[15]

وأركان التشبيه أربعة وهي: المشبه، والمشبه به، ويسمّيان طرفي التشبيه، وأداة التشبيه، ووجه الشبه.[16] والتشبيه ينقسم إلى أنواع متنوعة منها: المرسل (ما ذكرت فيه الأداة)، والمؤكد (ما حذفت منه الأداة)، والمجمل (ماحذف منه وجه الشبه)، والمفصل (ماذكر فيه وجه الشبه)، والبليغ (ما حذفت منه الأداة ووجه الشبه)،[17] والتمثيلي (ما كان وجه الشبه فيه وصفا منتزعا من متعدد، حسيا كان وغير حسي)،[18] والضمني (وهو الذي لا يوضع فيه المشبه والمشبه به، في صورة من صور التشبيه المعروفة، بل يلمحُ المشبه والمشبه به، ويُفهمان من المعنى، ويكون المشبه به دائما برهانا على إمكان ما أسند إلى المشه).[19]

6. مفهوم التشبيه الضمني

والتشبيه الضمني هو تشبيه خفي لا يأتي على الصورة المعهودة ولايُصَرح فيه بالمشبه والمشبه به، بل يُفْهم ويُلْمح فيه التشبيه من مضمون الكلام، ولذلك سُمّي بالتشبيه الضمني، وغالباً ما يكون المشبه قضية أو ادعاء يحتاج للدليل أو البرهان،

---

[14] المرجع السابق (الدكتور أحمد مطلوب)، ص. 30

[15] أحمد مصطفى المراغي، *علوم البلاغة*، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ص: 213

[16] علي الجارم و مصطفى أمين، جاكرتا، *المرجع السابق*، ص: 25

[17] نفس المرجع، ص: 30

[18] المرجع السابق (السيد أحمد الهاشمي)، ص: 227

[19] نفس المرجع، ص: 238

ويكون المشبه به هو الدليل أو البرهان على صحة المعنى.[20] وكذالك عند الخطيب القزويني، التشبيه الدال على مشاركة امر لأخر في معنى، والمراد باالتشبيه هنا ما لم يكن على وجه الإستعاره التحقيقية، ولا الاستعاره باالكناية، ولاالتجرد.[21] واما عند محمد امين الضناوي، وهو الذي لا تذكر فيه اركان التشبيه صراحة، بل تلمح من سياق الكلام. وهذا التشبيه يفيد ان ما اسند الى المشبه ممكن تصوره ووقعه.[22]

وباختصار التشبيه الضمني قضية وهي (المشبه) ، والدليل على صحتها (المشبه به) . مثل :

- قال المتنبي في الحكمة :

من يهُن يسهُل الهوان عليه ما لجُرحٍ بميّت إيلامُ

ما سبق نلمح فيه التشبيه ولكنه تشبيه على غير المتعارف، فهو يشبه الشخص الذي يقبل الذل دائماً، وتهون عليه كرامته، ولا يتألم لما يمسها، بمثل حال الميت فلو جئت بسكين ورحت تقطع أجزاء من جسده ما تألم ولا صرخ ولا شكى ولا بكى؛ لأنه فقد أحاسيس الحياة، وبذلك يكون الشطر الثاني تشبيهاً ضمنياً؛ لأنه جاء برهاناً ودليلاً على صحة مقولته في الشطر الأول.

- قال ابن الرومي :

قَدْ يَشِيب الْفَتَى وَلَيْسَ عجيباً أَنْ يُرَى النَّورُ فِى الْقَضِيبِ الرَّطيبِ

---

[20] علي الجارم و مصطفى أمين، *البلاغة الواضحة*، دار المعارف، مصر ص :20

[21] الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغه المعاني ، والبيان ، والبديع ، بيرت: لبنان ، ص: 217

[22] محمد أمين الضاوي . معين الطالب في علم البلاغة . الطبعة الأولى . 1421 هـ / 2000 م . ص: 95

(النور : الزهر الأبيض– القضيب : الغصن). يقول الشاعر : إن الشاب الصغير قد يشيب قبل أوان الشيب ، وهذا ليس بالأمر العجيب، وليدلل على صحة مقولته أتى لنا بالدليل و هو أن الغصن الغض الصغير الذي مازال ينمو قد يظهر فيه الزهر الأبيض، فهو لم يأْت بتشبيه صريح ولم يقل : إن الفتى وقد وخطه الشيب كالغصن الرطيب حين إزهاره ، ولكنه أتى بذلك ضمناً.

وبهذا تعرف أن التشبيه الضمني لا تذكر فيه أداة التشبيه أبداً، بينما التشبيه التمثيلي غالباً تذكر فيه أداة التشبيه " مثل ".

7. أغراض التشبيه القرآني

التشبيهات القرآنية –وكذلك الأمثال– صور بيانية لها أغراض عديدة، من أهمها إخراج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه الحاسة، وما لم تجرِ به العادة إلى ما جرت به العادة، وما لا يُعلم بالبديهة إلى ما يُعلم بالبديهة؛ ليسهل استيعابها، ويستبين المطلوب منها. ومن جملة الأغراض التي يقصد إليها التشبيه القرآني بيان عِظَم العقوبة التي تحل بالأقوام المعرضين عن رسالات الرسل، وما حملوه إليهم من نذارات، وتخويفات.

والغرض من التشبيه يعود إلى المشبه إلا في حال قلب التشبيه فإنه يعود إلى المشبه به، وفي عودِ الغرض إلى التشبيه مقاصد بلاغية مختلفة منها:

1) بيان حال المشبه

وذلك عندما تكون صفة المشبه مجهولة، فيؤتي بالمشبه به لمعرفة حاله وبيانها. وهذا الغرض يرد كثيرا في المسائل العلمية للإفهام والتوضيح، كما أنه يقع كثيرا في كلام الناس، لصلتة القوية بالفطرة، ولذلك قلنا يكثر في مسائل العلم. ومثاله قول النابغة :

كأنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

فهو يريد أن بيّن حال الممدوح وحال غيره من الملوك بهذا المثل.

2) بيان مقدار حال المشبه

وفي هذا الغرض يكون المشبه معروف الصفة بوجه عام، ويأتي التشبيه بعد ذلك لتحديدها. وبذلك يختلف عن الغرض الأول ذاك بيّن الحال المجهولة، وهذا بين درجتها بعد العلم بها، كما في قول عنترة يصف ركائب أحبابه الراحلين:

فيها اثنتان وأربعون حلوبةً سوداً كخافية الغراب الأسحم

فقد وصف النوق بالسواد ثم بيّن مقدار هذا السواد بأنه كخافية الغراب.

3) تقرير حال المشبه

وهو نوع من بيان الحال، ولكنه بيان على وجه التمكين، بتوضيح حال المشبه في ذهن السامع وتقوية شأنها وتوكيدها في خاطره وأكثر ما يكون هذا الغرض بتشبيه المعنويات بالمحسوسات المشاهدة كما في تشبيه أعمال الذين كفروا

بالشراب، وبالرماد والذي فرقته ريح شديدة في يوم عاصف، قال تعالى: (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا).

وقال تعالى: (مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء). فأبرز هاتين الصورتين الرماد والسراب ليقرر في الأذهان حقيقتها وأنها خادعة بما يتعلق بها الرجاء ولكن عندما تشتد الحاجة إليها تذهب فلا يبقى منها في اليد شيء.

4) بيان إمكان المشبه

وذلك إذا كان المعنى غريبا يتوقع أن يخالف فيه ويدعى امتناعه فيؤتي بالتشبيه دليلا على إثباته بأن تلحق الحال التي تقابل بالإنكار بحال مسلمة الإمكان لوقوعها، ومن شواهد هذا الغرض قول البحتري :

دان على أيد العفاة وشاسعٌ عن كل ند في الندى وضريب

كالبدر أفرط في العلو وضوءه للعصبة السارين جدٌّ قريب

وصف البحتري ممدوحه في البيت الأول بأنه قريب للمحتاجين، بعيد المنزلة بينه وبين نظائره في الكرم بون شاسع، ولكن البحتري حينما أحس أنه وصف ممدوحه بوصفين متضادين هما القرب والبعد أراد أن يبيّن لك أن ذلك الأمر ممكن وأن ليس في الأمر تناقض، فشبه ممدوحه بالبدر الذي هو بعيد في السماء، ولكن ضوءه قريب جدا للسائرين بالليل.

5) تزيين المشبه أو تقبيحه

فالأول كما في قول أبي الحسن الأنباري في مصلوب:

مددت يديك نحوهم احتفاءً كمد هما إليهم بالهبات

وأكثر ما يكون التزيين في المديح والرثاء والفخر ووصف ما تميل إليه النفس.

والثاني كما في قول أعرابي في ذم امرأة :

وتفتح لا كانت فما لو رأيته توهمته باباً من النار يفُتح

ب. الدراسة السابقة

قد قامت بما يشابها هذا البحث إحدى الطالبات من قسم تدريس اللغة العربية بكلية التربية والتعليم لجامعة سلطان شريف قاسم رياو وهي زهرة الوردة تحت الموضوع "بلاغة التشبيه في سورة البقرة." وذالك بحث مكتبي الذي قد كتب في سنة 2013 وهو عن بلاغة التشبيه غالبا ولم تكتب فيها عن التشبيه الضمني، وأما هذا فهو "دراسة تحليلية بلاغية عن التشبيه الضمني في القرآن الكريم".

والفرق بين البحث الأول والثانى هو أن البحث الأول عن التشبيهات كلها سوى التشبيه الضمني وأغراضها في سورة البقرة، والبحث الثانى عن التشبيه الضمني في القرآن الكريم.

ج. المفهوم العملي

وأرادت الباحثة أن تقدم المفاهيم العملية كما يلي:

1. أن لا يأتي التشبيه على الصورة المعروفة ولايُصَرح فيه بالمشبه والمشبه به، بل يُفْهم ويُلْمح فيه التشبيه من مضمون الكلام.
2. عدم وجود ترابط لفظي بين المشبه والمشبه به، بل كل منهما صالح للإستقلال عن الآخر.
3. ما يكون المشبه قضية أو ادعاء يحتاج للدليل أو البرهان، ويكون المشبه به هو الدليل أو البرهان على صحة المعنى.
4. أن لا تذكر فيه أدوات التشبيه صراحة بل تلمح من سياق الكلام. وإذا ذكرت فهو تمثيلي لا ضمني.
5. أن يكون الشيئ الثاني أو المشبه به من الملموسة ثم ينقل إلى المحسوسة أو المعلومة لتسهيل الفهم.
6. أن يكون أغراض التشبيه تظهر بشكل الثناء والرثاء والرحمة ودعوة الشفقة في الأية التي كانت مقاصدها لتزيين الأشياء.
7. أن يكون أغراض التشبيه تظهر بشكل إهانة وتصوير أشياء غير مرغوبة في الأية التي كانت مقاصدها لتسييئ الأشياء.